

**علما الكون والنفس داعمين
لتفسير النص القرآني المقدس**

فاضل يونس حسين البدراني
جامعة النور - كلية النور الجامعة - قسم اللغة العربية

الملخص

جاء ذا البحث في سبيل تحقيق التكامل المعرفي بين علوم النص وعلمي الكون والنفس، والذي يهدف في مقاصده الأساسية إلى بيان ما فيهما من دعم قوي في رُفد تفسير النص القرآني المقدس بالمزيد من وجوه المعاني الجديدة، المستنبطة استنباطاً صحيحاً، يقره المنطق السليم، المبني على معرفة أساليب كلام العرب الجارية، وأصول التفسير المعتبرة عند المفسرين. وقد راعى الباحث القيمة البحثية، بالأصالة الموروثة والمعاصرة الواعية، لكي يتسنى له ربط ما قدمه المفسرون القدماء مع ما توصلت إليه الأبحاث العلمية اليقينية في علمي الكون، النفس، وبذا يتحقق التكامل المعرفي جلياً واضحاً بين علوم النص - قرآناً وسنة - وما يتبعهما من القواعد الكلية في الإسلام، وبين علم الكون مستنداً إلى علم النفس، وقد توجه البحث ليسد ثغرة في مكتبتنا العربية الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: التفسير- علم الكون- علم النفس- النص المقدس- التكامل- الترابط.

Summary:

This research came in order to achieve cognitive integration between the sciences of text, the sciences of the universe, and psychology, which aims in its basic objectives to clarify the strong support it contains in completing the interpretation of the Holy Qur'anic text with more aspects of new meanings, deduced by correct conclusion, supported by sound logic, based on On knowledge. Contemporary Arabic discourse methods, and the principles of interpretation according to commentators. The researcher took into account the value of the research, along with inherited originality and conscious modernity, in order to be able to link what was presented by ancient interpreters with what some scientific research has reached in the sciences of the universe and psychology, and thus cognitive sciences, and achieve integration clearly and clearly between the sciences of the text - the Qur'an and the Sunnah - and the comprehensive rules that follow them. In Islam, and among cosmology based on psychology, the research was directed to fill a gap in our Arab-Islamic library

key words: Interpretation - cosmology - psychology - Holy text- Integration - connectivity.

المقدمة

الحمد لله جميل القول والعمل في سائر الأحوال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد باهي الجمال، المتصف بالخصال الحميدة والمجيدة من الخلال، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم في كل وضع وحال إلى يوم المرجع والمآل.

أما بعد؛ فإن العلم زينة للإنسان وبهاء ووقار وحلية، وشرف يرفعه للسجيا السنية العلية، وخير العلوم أصدقها وأنفعها وأوثقها وأرفعها وهو ما ورد في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن تشكك في ذلك وارتاب، فالإله الصحيح من صريح الجواب: القرآن كلام الله والكون خلق الله، والخالق إذا تكلم عن خلقه فإنما يذكر الحقيقة التي لا مرأى فيها؛ لأنه يصف وينعت صنعته، فهو الخبير بما صنع تبارك وجل في علاه، كحال المخترع الذي صنع جهازا فهم أعلم الناس بما صنع، وأنتجتة يدها بفكره الخاص. ومن أجل ذلك نستطيع أن نتوصل إلى أن العلم الحقيقي المبني على أسس علمية سليمة بمقدمات صحيحة تنتهي إلى نتائج صحيحة.

ثم إن الكون آيات منظورة نشاهدها فنقرها، والقرآن آيات مسطورة نتلوها ونقرأها. وإن العرب لما نزل في ربوعهم القرآن وعوه واستوعبوا ما فيه من إعجاز، لكن الأعاجم ليس لهم ما للعرب من السليقة اللغوية والذوق الأدبي، فكيف يتحداهم القرآن وهم لا يمتلكون أداة التحدي؟! الجواب أن ما فيه من حقائق العلم لا تحتاج إلى علوم البلاغة ومعرفة أساليب كلام العرب، بل يكفي أن تصل إليهم المعلومة بأي لغة كانت، فبذلك استمر الإعجاز القرآني عبر الزمن ليستقطب النفوس الخيرة والعقول الحرة الطليقة التي لا تخضع للأهواء والمصالح، وبذا يوقنون أن هذا الكتاب ليس بشريا، وما هو من إنشاء النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فالرجل الأمي في القرن الخامس الميلادي في قلب جزيرة العرب ليس مصدرا لحقائق علمية تضمنها كتاب؛ لأن بيئته لم تكن مؤهلة لإدراك مفاهيم تتحقق صحتها في يومنا هذا بعدما امتلك الإنسان المجهر والمقرب والمختبر والحاسوب... الخ.

أهمية الموضوع:

إن التكامل المعرفي بين علوم النص وعلمي الكون والنفس موضوع حيوي له من الأهمية مكان الصدارة في عالم اليوم، يكتسب أهميته وفضله وشرفه من جهتين، أولهما شرف القرآن الكريم والسنة النبوية، ثانيهما: حاجة الناس إلى معرفة الحقائق نظريا وعمليا، كيف لا وقد أصبحت المعلومات في

مجلة كلية الإمام الأعظم | العدد الخامس والأربعون | عدد خاص بالمؤتمر العلمي الدولي السابع عشر —

متناول الجميع عبر الشاشة الزرقاء الكبيرة والصغيرة بل الثابتة والمحمولة على حد سواء.
أسباب اختيار الموضوع:

لما كان لهذا الموضوع تلك الأهمية التي ذكرناها، وجده الباحث مادة خصبة صالحة لتقديمها في صورة بحث إلى مؤتمر كلية الإمام الأعظم - رحمه الله - الجامعة العلمي الدولي السابع عشر الموسوم: (التكامل المعرفي لعلوم النص مع العلوم الإنسانية)، المزمع عقده في ٢٧ - ٢٨ جمادى الأولى / ١٤٤٥ هجري، في محوره الرابع.

الدراسات السابقة:

لم يحظ الباحث بالكثير من الدراسات السابقة بسبب عدم التعمق في التفتيش والتقصي عنها نتيجة ضيق الوقت مع كثرة المشاغل والشواغل، لكن مع ذلك وجد بحثا عنوانه: التكامل المعرفي بين علم النفس والعلوم الإسلامية، الباحثة: أسماء بوعود، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف، منشور في مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، م: ١٣، العدد: ٠١ (٢٠٢٣)، وهو بحث جيد، فيه بعض ما يحتاج إليه في المبحث الثاني من مشروعنا، لكنه لا يغني عما ينبغي أن نقدمه، حيث تضمن جزءا من أهدافنا في مشروع بحثنا.

منهج البحث:

اعتمد البحث منهج الوصف والتحليل والمقارنة.

خطة البحث:

أما خطته فمقدمة يتبعها مبحثان، أولهما: علم الكون داعما لتفسير النص القرآني المقدس، وثانيهما: علم النفس داعما لتفسير النص القرآني المقدس، ثم الخاتمة التي تلاها مسرد المصادر والمراجع.

المبحث الأول: علم الكون داعما لتفسير النص القرآني المقدس
توطئة:

وردت في القرآن الحكيم آيات تنطوي على حقائق علمية في غاية الدقة وفي مختلف المجالات التي منها الطبيعة والكون، فضلا عن علم النفس بسائر تخصصاته.

تلك الآيات منثورة في كتاب الهداية المنزل من ربنا الهادي الحكيم رسالة إلى الناس أن: أيقنوا أنكم ما خلقتم عبثا، بل خلقكم الله القدير المحييط، وأدخلكم في امتحان مفتوح أسئلته جليلة، لكن وقته غير محدد، يبدأ مع كل فرد سوي عاقل من يوم بلوغه سن الرشد حتى ساعة وفاته.

وإن المقصود بعلم النص نصوص القرآن الكريم والسنة النبي الشريفة التي يحتج بها، باستثناء ما نسب إليه صلى الله عليه وسلم من الموضوع والمنكر والواهي والضعيف.

وإن احتج علينا المحدثون والأصوليون بأن الضعيف قد لا يحتج به، عندئذ لا يسعنا إلا الموافقة، لكن ليس في مقابلة الحقائق العلمية، فالحقيقة العلمية لا ينكرها حتى القرآن الكريم؛ ولذا لا نفسح المجال للنص الضعيف برده أو إنكاره أو رفضه.

وأما علم الكون فهو مبني على الحقائق التي رجحت كفتها لدى العلماء، وهي الحقائق العلمية الخالصة التي لا مجال إلى إنكارها، ومنها النظريات العلمية التي تحققت فرضياتها ثم أثبتتها الأرصاد الفلكية والقوانين العلمية والمعادلات الرياضية الصحيحة بحساباتها الدقيقة، وهنا ينبغي أن نشير إلى أن الفيزيائيين في وقت سابق كانوا مستغنين بما لديهم عن كل معتقد وقيمة مثلى وعليا بل حتى عن الدين، متباهين به مفتخرين، وكأنه مسلمات لا تناقش حتى أتى ألبرت آينشتاين فقلب عليهم الطاولة قائلا: لا ثابت في العلم ولا ثابت في الكون، وكل شيء نسبي عدا سرعة الضوء، ونشر نظريته النسبية الخاصة سنة ١٩٠٥ ثم نشر النظرية النسبية العامة سنة ١٩١٥.

ثمة نماذج عديدة فيها بيان دعم علم الكون لتفسير النص القرآني المقدس، فيكون داعما للتفسير، وههنا نكتفي بذكر نموذج منها:

ناموس الزوجية في الطبيعة:

بداية لكل شيء في الطبيعة زوج، وذلك في العالمين الصغير والكبير، ففي العالم الصغير التي قد لا ترى بالعين، بل لا ترى بالمجهر، وهو عالم الذرة نجد المثال واضحا جدا، وكذلك الحال في العالم الكبير عالم المجرة.

ولبيان ذلك نستشهد من القرآن الكريم، ثم نلقي الضوء على تفسير ما ورد فيه بهذا الخصوص، ثم

ننتهي إلى المعطيات العلمية فيه.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الدَّارِيَات: ٤٩]، وقال أيضاً: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آيت: ٣٦].

أقوال المفسرين:

ذكر العلماء في ذلك أقوالاً مجملها:

١. نوعين مختلفين كالشقاء والسعادة، والهدى والضلالة، ونحو ذلك، وهو قول مجاهد، فالزوجية على هذا معنوية.

٢. أن المراد بالزوجين الذكر والأنثى.

٣. المراد صنفان ونوعان، كالذكر والأنثى، والبر والبحر، والليل والنهار^(١).

وبالتدقيق نجد أن المفسرين انقسموا في معناها إلى قسمين:

١. قسم عندهم الزوجية المتقابلات من أرض وسماء وليل ونهار وموت وحياة...^(٢).

٢. لكن فريقاً آخر ذهبوا إلى أن الزوجية المقصودة هنا المتكونة من الذكر والأنثى، وهو ما يسمى حالياً

بـ «قانون الزوجية العامة»^(٣).

٧ المعطيات والحقائق العلمية:

في سنة ١٩٣١ م. أعلن ديراك^(٤) «النظرية المتناسبة للإلكترون» وقد أشار فيها إلى وجود إلكترون بشحنة وطاقة مختلفتين، ثم ما لبث أن اكتشفه العالم الفيزيائي كارل أندرسون^(٥) بعد ذلك بسنة واحدة فقط. وقد اكتشفه في الأشعة الكونية، والذي سمي باسم البوزيترون (Positron) = [مختصر: (Positive Electron)]، أي: [الإلكترون الموجب]، وتسلسل بعد ذلك اكتشاف نقائص لباقي الجسيمات الأولية للمادة من مثل

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري: ٢٢ / ٤٣٩، زاد المسير، ابن الجوزي: ٤ / ١٧٢، مفاتيح الغيب، الفخر الرازي: ١٨٨ / ٢٨.

(٢) صفوة البيان لمعاني القرآن، حسنين محمد مخلوف: ٦٨٦-٦٦٩؛ آيات الكون وأسرار الطبيعة في القرآن الكريم: ٤٠٦.

(٣) المصحف المفسر، محمد فريد وجدي: ٦٩٥؛ البرهان العلمي في الإسلام: ٢١؛ ينظر: المعجزة والإعجاز في القرآن: ٢١٤.

(٤) هو العالم الفيزيائي: بول أدريان موريس ديراك (Paul Adrien Maurice Dirac)، وهو بريطاني واحد من المؤسسين لنظرية ميكانيكا الكم. ولد في الثامن من آب (أغسطس) / ١٩٠٢ في بريستول، ثم توفي في العشرين من تشرين الأول (أكتوبر) / ١٩٨٤ في تلاهاسي، فلوريدا. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%88%D9%84_%D8%AF%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D9%83

(٥) هو العالم الفلكي: كارل ديفيد أندرسون (Carl David Anderson) (٣ سبتمبر ١٩٠٥ - ١١ يناير ١٩٩١)، وهو أمريكي مولود في نيويورك (١٩٠٥-١٩٩١)، نال نوبل الفيزياء سنة ١٩٣٦. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D8%A7%D8%B1%D9%88_%D8%A3%D9%86%D8%AF%D8%B1%D8%B3%D9%88%D9%86_4-%D8%AF%D9%8A%D9%81%D9%8A%D8%AF_%D8%A3%D9%86%D8%AF%D8%B1%D8%B3%D9%88%D9%86

نقيض البروتون، واعتبرت نقائص المادة في مواجهة المادة حقيقة من حقائق كوننا المدرك، حيث ثبت أن لكل جسيم مادي نقيضه، يماثله تمامًا في الكتلة، والحجم، والسرعة ولكن له شحنة مضادة، مع دوران معاكس، وثبت أنه إذا التقى الضدان فإنهما يفنيان فناء تامًا.

وقد تساءل العلماء عن كيفية بقاء عالمنا المادي مع وجود كل من المادة وأضدادها، وكلاهما يفنى بقاء الآخر، وتم تفسيره باحتمال تجمع المادة والمادة المضادة لتكوين تجمعات سماوية خاصة به، بمعنى وجود عوالم من المادة المضادة مغايرة لعالمنا المادي لانها، بل لانعلم عنها شيئًا^(١).

يستخلص من ذلك ما كشفه العلم الحديث عن معنى آخر، وهو أن المادة مخلوقة ثنائيًا فيما يسمى بالتكافؤ أو التماثل، فالإلكترون في ضد المادة تحمل شحنة موجبة، بينما تحمل بروتونات "ضد المادة" شحنة سالبة. وليست هذه الثانية في الشحنات فقط. بل تجاوزت ذلك إلى الثنائية في الكتلة، فقد وجد أن هناك إلكترون وإلكترون مضاد، إذا ما تلامسا انعدما فصارا ضوءًا. بل هناك مجرات تتلاقى مع مجرات أخرى فينبعث ضوء قوي لا يبرر علميًا إلا بوجود مجرة سالبة الكتلة تتداخل في مجرة موجبة الكتلة، وبتداخلهما يتحولان إلى طاقة هائلة، وهذا نوع من الزوجية^(٢).

استنتاج: هكذا نتوصل إلى أن العلم الحديث قد أضاف معنى من معاني الآية الكريمة، كان خفي على من سبقنا، كما وسَّع لنا مفهوم الزوجية بما لا يتنافى مع الأقوال التي ذكرها أسلافنا المفسرون رحمة الله عليهم. ومما تنبغي الإشارة إليه أ البعض قد قصر الزوجية فحصره على النبات فقط، أي إنه فسر الآية ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾، من النبات ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾، في حين إن الآية مصدرة بالعموم، ولا موجب لتخصيص هذا العام بلا مخصص، لأنه لم يذكر أي مخصص سوى أنه استبعد تصور معنى الزوجية في الجوامد، وقد يعذر لأن معنى الزوجية بمعناها الحديث بعيد عن ذهنه^(٣)، وعلى العموم فالآية الكريمة صريحة في الكشف عن «قانون الزوجية العامة» الذي لم يكشف إلا حديثًا^(٤).

نعم إن في هذه الآية الكريمة إخباراً عن قاعدة من قواعد الخلق والوجود؛ وهي في الوقت نفسه دليل على أن القرآن من عند اللطيف الخبير الذي أحاط بكل شيء علماً.

إن المعرفة التي سادت زمان النبي صلى الله عليه وسلم لم تمكنهم من كشف قاعدة "الزوجية" في الوجود، بل إن ما كان في حوزة الناس آنذاك من معلومات لم تكن كافية للكشف عن تلك الظاهرة في "الأحياء" فضلاً عن ميادين الوجود المختلفة، وإن الكشوفات الكونية المتسارعة يُميط اللثام في كل

(١) ينظر: تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم: ٣٥٥/٣.

(٢) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (الكون والماء): ٤٤-٤٥، ينظر: الإشارات القرآنية للسرعة العظمى والنسبية: ١٨٧.

(٣) الكشف، الزمخشري: ٥١٢/٢.

(٤) نحو تفسير علمي للقرآن: ٦٤-٦٥؛ ينظر: المعجزة والإعجاز في القرآن: ٢١٤.

مجلة كلية الإمام الأعظم | العدد الخامس والأربعون | عدد خاص بالمؤتمر العلمي الدولي السابع عشر —
يوم عن أشكال من التزاوج، والاقتران، والارتباط في ميادين الحياة كافة، وعلى مستويات مختلفة، ابتداءً
بالذرة في العالم الصغير، وانتهاءً بالمجرة في العالم الكبير؛ مما يُضيف شواهد جديدة على صدق النبي
الكريم محمد صلى الله عليه وسلم^(١).

الحكمة في ناموس الزوجية الشامل:

إن هذا الذي ذكر لهو دليل إضافي على المغايرة بين المخلوق والخالق المتفرد في ذاته وصفاته
وأفعاله؛ حيث إن ما يترسخ في الخبرة البشرية على الدوام من أن الخلق واحد، ويخضع لقوانين واحدة،
وتحكم حركته ونموه وانهيائه قواعدً واحدة.. إن كل ذلك يدل على وحدانية الخالق جل ثناؤه الذي
أوجد كل ذلك التنظيم الدقيق المعجز. وفي ختم الآية بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ إشارة واضحة إلى
هذا المعنى، حيث يدرك الناس تفرد الخالق وأحديته من خلال ما يشاهدون من ظواهر تزاوج الأشياء
وتركيبتها، وارتباطاتها، وتوازنها على نحو يستحيل معه العبث، والارتجال والمصادفة. وكأن في الآية بعد
هذا وذاك إيحاءً إلى أهمية استثمار المعرفة بسنن الله في الخلق في غرس الإيمان وتقويته، والارتقاء في
إدراك واجبات العبودية وآدابها^(٢). من الناحية العلمية الواقعية يمكن أن يرى دليل على وجود ضديد
المادة في (bubble chamber). فالمجال المغناطيسي في هذا الجامبر ينتج دقائق سالبة عندما يدور
يساراً، وينتج دقائق موجبة عندما يدور يميناً، وينتج بفعل دوران المجال نوعان متناظران من المادة
هما الإلكترون electron والبوزيترون positron (ضديد الإلكترون antielectron)، ويشبه الإلكترون نظيره
البوزيترون، ولكنهما مختلفان في الشحنة. إذاً للإلكترون ضديد يسمى ضديد الإلكترون أو البوزيترون،
وللبروتون proton ضديد يسمى ضديد البروتون antiproton.

إذا كانت المادة وضديدها متماثلين ومتساويين فلماذا توجد مادة في الكون أكثر من ضديد المادة؟
في الواقع لأحد يعلم، ولا يزال هذا السؤال يشغل بال الفيزيائيين ويجعلهم يسهرون الليل، ويفكرون في
إجابة عن هذا السؤال. يرمز لضديد المادة عادة برمز يشبه رمز المادة أو الدقيقة نفسها ولكن يوضع فوق
رمز الضديد خط (bar)، فمثلاً الرمز (U) يدل على الكوارك العلوي "up quark"، بينما يرمز لضديده
المسمى "up antiquark" بالرمز (\bar{U}) وتلفظ يو بار^(٣).

(١) في إشراق آية، أ. د. عبد الكريم بكار: ٣٥.

(٢) المرجع نفسه: ٣٥.

(٣) ينظر: البرهان العلمي في الإسلام: ٢٢؛ موسوعة دائرة المعارف الشاملة - الموسوعة الفلكية: ٨٢؛ تاريخ العلم (١٥٤٣-٢٠٠١):
٢٥٥ / ٢؛ آيات الكون وأسرار الطبيعة في القرآن الكريم: ٤٠٧؛ تفردات الطاهر ابن عاشور في تحريره عن الزمخشري في كشفه
وابن عطية في محرره والبيضاوي في أنواره: ٢٥٣-٢٥٤

وقد عد ابن باديس "الزوجية" آية كونية في الآية القرآنية، فقال: (من الأزواج ما هو ظاهر مشاهد معلوم من قديم مثل: السماء والأرض، والليل والنهار، والحر والبرد، والذكر والأنثى في الحيوان وبعض النبات. ومنها ما كشفه العلم بما مهد الله له من أسباب كالجزم الموجب والجزء السالب في القوة الكهربائية وفي الذرة التي هي أصل التكوين، فلا فردية إلا لخالق هذه الأزواج كلها، الذي أنبأنا بها قبل أن تصل إلى تمام معرفتها العقول، فكان من معجزات القرآن الكريم العلمية التي يفسرها الزمان بتقدم الإنسان في العلم وال عمران) ^(١). وبحسب ابن باديس: (لما كانت الأزواج مكوناً بعضها من بعض ناسبها لفظ الخلق. ولما كان النظر في الزوجين هو نظر في أساس التكوين لتلك المذكورات السابقة- وهو محصل للعلم الذي يحصل من النظر فيها- قُرِنَ بلفظ التذكر) ^(٢).

بل عرفنا من خلال دراستنا في الفيزياء في مرحلتي الثانوية ثم البكالوريوس أن القوى تعمل على شكل أزواج، فحين قيادة السيارة تدفع عجلاتها الطريق الذي بدوره يدفعها بالقوة نفسها لكن في الاتجاه الآخر ^(٣)، وهذا ما نسب إلى نيوتن المعروف بـ "قانون نيوتن الثالث"؛ وينص على أن: لكل قوة فعل action قوة رد فعل reaction تساويها في القوة والمقدار، وتعاكسها في الاتجاه، وتقع معها على خط واحد ^(٤).

يستخلص الباحث من ذلك أن "قانون الزوجية" باب للدعوة إلى التوحيد الخالص، حيث يتكلم لسان الحال عن زوجية كل شيء سوى الخالق البارئ المصور، ولسانه أبلغ من لسان المقال، لذا أقبل المنصفون والعقلاء من العلماء إلى باب الله تعالى، فسجدوا لعظمته عز وجل، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فَاطِر: ٢٨].

مفاجأة علمية في جامعة تورنتو، من خلال تجربة خاصة

ثمة آية لا يخطر ببال أحد أنها تتكلم عن الزوجية، لكن سبحان الله، إذ حققت نتيجة مذهلة في دراسة علمية رصينة في الدراسات العليا «الدكتوراه»، والآية هي قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بِيَوْمِ يَوْمِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سَبَأ: ٤٦].

(١) في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: ٣٥٩-٣٦٠، ينظر: تفردات الطاهر ابن عاشور في تحريه عن الزمخشري في كشافه وابن عطية في محرره والبيضاوي في أنواره: ٢٥٣-٢٥٤.

(٢) في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: ٣٦٠.

(٣) ينظر: أطلس العلوم: ١٣٨؛ بل هو قانون أبي البركات هبة الله بن ملكا البغدادي في كتابه «المعتبر من الحكمة»، وينسبه الغرب لنيوتن ظلماً وعدواناً كعادته في الزور والبهتان. ينظر: الرياضيات في القرآن الكريم، الغنيمي التفتازاني، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٤٠٨هـ: ٦١-٦٢.

(٤) أطلس الفيزياء: ٣٨.

فهذه الآية لها حضور قوي ومؤثر جدا في دراسات علم النفس، ومن خلالها ينقلنا الدكتور جاري ميلر إلى أجواء روحانية في ساحة علمية، حيث يروي لنا عن أحد أصدقائه من جامعة «تورونتو» University Of Toronto أن طالبا غير مسلم كان في دكتوراه علم النفس، اختار لبحثه العنوان: ”فعالية النقاش الجماعي“، فاقترح عدة معايير لتحديد مكونات النقاش الفعال، مع رسم بياني يوضح العملية، حدد فيه التقدم المتحقق في مجموعات النقاش مختلفة الأحجام. فاكشف أمرا مثيرا أن المجموعات المتكونة من اثنين تفوق سائر المجموعات الأخرى. ففكر الطالب في تغيير العنوان إلى ”ظاهرة الاثنين“ أو ”الظاهرة الثنائية“. يقول د. ميلر: في هذه الأثناء تذكر صديقي المسلم الآية الكريمة التي تتحدث عن النقاش وحجم مجموعات النقاش وفعاليتها، ولن نستغرب عندما نكتشف منها أن المجموعات الثنائية هي التي كان لها الفعالية الكبرى في حصول النتائج. فهي تتحدث عن تدارس القرآن والتفكير في أمر الوحي^(١).

أما تفسير الآية: فيفسرها وهبة الزحيلي رحمه الله: بأن تقوموا في طلب الحق بالفكرة الصادقة متفرقين: اثنين اثنين، أو واحدا واحدا؛ لأن الاجتماع يشوش الفكر^(٢).

وليكن تفكيرهم، كل واحد منفردا، أو كل اثنين: (ليتفكر كل واحد منكم وحده، أو ليخلو بغيره اثنين اثنين فيتفكروا ليصلوا إلى الحق، والقيام هنا قيام تفكر، وتفكروا بموضوعية وتجرد من الهوى في أمر محمد صلى الله عليه وسلم كيف كان فيكم وسيرته وأخلاقه، وهل علمتم كذبا عليه، وهل كان ساحرا أو كذابا أو كاهنا أو فيه علامات من الجنون)^(٣).

فالآية الكريمة تأمرهم كما يقول شيخ الأزهر طنطاوي: أن يفكر كل اثنين بموضوعية وإنصاف في أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يعرض كل واحد منهما حصيلة تفكيره على صاحبه، وأن يفكر كل واحد منهم على انفراد- أيضا في شأن هذا الرسول صلى الله عليه وسلم، بلا تعصب وهوى. وقدم الاثنين في القيام على المنفرد، لأن تفكير الاثنين في الأمور بإخلاص واجتهاد وتقدير، أجدى في الوصول إلى الحق من تفكير الشخص الواحد، ولم يأمرهم بأن يتفكروا في جماعة، لأن العقلية الجماعية كثيرا ما تتبع الانفعال الطارئ، وقلما تترث في الحكم على الأمور^(٤). بل نقل طنطاوي عن الكشاف: (والذي أوجب

(١) مقدمة إيمانية، محاضرة للمفكر الكندي المسلم «جاري ميلر»، ترجمة: رشود التميمي، موقع: صيد الفوائد، <http://www.saaaid.net/bahoth/185.htm>

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: ٢٢/٢٠٦.

(٣) تفسير القرآن الشري الجامع في الإعجاز البياني واللغوي والعلمي، محمد الهلال: ٢٢/٨٩.

(٤) التفسير الوسيط - سيد طنطاوي: ١١/٣٠٦.

تفرقهم مثنى وفردى، أن الاجتماع مما يشوش الخواطر، ويعمى البصائر، ويمنع من الروية، ويخلط القول. ومع ذلك يقل الإنصاف ويكثر الاعتساف: ويثور عجاج التعصب^(١). وبالتأكيد لا يقصد الزمخشري أن يتفرق الناس، بل يقصد أن اجتماع الطلبة قد يذهب إلى تضييع الوقت.

فوائد قانون الزوجية العامة:

إن أحسن الوسائل لإطفاء الحرائق في الغابات ومكافحتها هي حرق الغابة نفسها من الجهة المقابلة، ليزحف اللهب الجديد لمقابلة الحريق القديم، ولينقض فيلتهم في طريقة المواد القابلة للاحتراق، وبذلك يحرم النار من الوقود، وحالما يلتقيان يخمد جدارا النار كلاهما حالاً كما لو كان كل منهما يلتهم الآخر، وهذا مستقى من تجارب الشعوب والأمم في التاريخ، وتلجأ إليه رجال الإطفاء في الدول المتقدمة. وإن كانت الحرائق أمراً مادياً، فإن الحسد أمر معنوي مشابه لها، وفي الأثر: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ أَوْ قَالَ: الْعُشْبَ^(٢). فههنا يشبه رسول الله الحسد بالنار الملتهممة للحطب، وهو من روائع التشبيه التمثيلي، فيه وجه الشبه مع المشبه به والمشبه صور.

وما أجمل ما قال ابن المعتز^(٣):

اضْبِرْ عَلَى مَضْضِ الْحُسُودِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ
كَالنَّارِ تَأْكُلُ بَعْضَهَا إِنَّ لِمَ تَجِدُ مَا تَأْكُلُهُ

قال الشاعر صبحي محمود سعيد^(٤):

عجبي لمن خشى القتاد وراح يمشي بالقتاد
كَالنَّارِ تَأْكُلُ بَعْضَهَا كي تستحيل إلى رماد

(١) الكشف: ٥٩٠/٣؛ م. ن: ٣٠٧/١١.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الحسد: ٤/٢٧٦/٢٧٦٦ برقم ٤٩٠٣.

(٣) ديوان ابن المعتز، دار صادر، بيروت: ٣٨٩.

(٤) مجلة الرسالة، أحمد حسن الزيات باشا (ت: ١٣٨٨هـ)، عدد: ٩٥٧: ٣١. من قصيدة بعنوان «حيران» للأستاذ الشاعر؛ صبحي محمود سعيد، مهداة إلى الأستاذ أنور المعداوي.

المبحث الثاني: علم النفس داعماً لتفسير النص القرآني المقدس

تبين في المبحث الأول كيفية كون علم الكون داعماً قوياً لتفسير النص القرآني المقدس، والمتمثل بنموذج ناموس الزوجية الطبيعية الشاملة..

كذلك الحال مع الشق الثاني مما نحن بصدد، فهناك حقائق في علم النفس تأتي داعمة للتفسير، منها مثلاً قسم الله تعالى بالنفس، وماهية تسويتها، ثم الإلهام الرباني لها، بغرز التقوى في أعماقها، وكذلك انطائها على الفجور، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝٦﴾ [الشَّمْسُ: ٧ - ١٠].

وهذا مثال واضح جلي في التكامل المعرفي بين علم النفس وعلوم النص، لكنني أرجح تقديم نموذج ذي معلومات علمية دقيقة في هذا المجال، ولأجل الاختصار نختار أربع نماذج للتشخيص القرآني لحالات الباراسايكولوجي، وهي التأثير على المادة، والتخاطر، والجلء البصري، والإعجاز الغيبي للقرآن المجيد:

التشخيص القرآني لحالات الباراسايكولوجي: المعطيات العلمية:

في سنة ١٨٨٢ م، أسست الجمعية البريطانية للبحوث النفسية، وكان أحد أعضائها البروفيسور «سيرجوك» من «جامعة كامبردج» Cambridge University، والذي قال في افتتاح المؤتمر التأسيسي ما معناه: لو صح عشر هذه الخوارق التي نسمع عنها لكانت ذات أهمية بالغة وقيمة علمية كبيرة. وفي سنة ١٩٦٩م أسست الجمعية الأمريكية لبحوث الباراسايكولوجي^(١)، وتقرر بالإجماع قبول دراسته إلى جانب العلوم الأخرى. وفي سنة ١٩٨٥م أطلق العالم الألماني ”ماكس دسوار Max Dessoir“ لفظة الباراسايكولوجي على مجموع الطاقات والقدرات فوق الحسية والقدرة على تحريك الأشياء عند الإنسان.

لقد اكتشف في الدماغ حيز كهرومغناطيسي يؤثر على ما حوله ويتأثر به، ولكن عند تعريض أشخاص أو حيوانات تحت الفحص في غرفة فاراداي المعزولة أو قفص فاراداي عن أي تأثير طيفي أو إشعاعي

(١) الباراسايكولوجي هو علم يختص بالدراسة العملية للظواهر غير العادية (Paranormal) أي خوارق العادات، أو هو كل إمكانية تأثير للإنسان والحيوان أو تأثرهما بكل ما يحيط بهما دون استخدام الحواس الخمسة. ينظر: الجملة العصبية والطب النفسي والأحلام والباراسايكولوجي - جزء ١٢-١٣ من سلسلة إعجاز القرآن، د. خالد فائق صديق العبيدي، دار الكتب العلمية، بيروت... ٢١-٣٨/١٣.

ثبت حصول التخاطر^(١)، بطاقات مختلفة عن الطاقات الفيزيائية المعروفة. ثم توصل عالمان روسيان هما "د. كوغان" Cogan و "د. بافلوف" Ivan Pavlov إلى أن للتخاطر أثرا على أجهزة رسم وقياس المخ، فتلك ظاهرة حاصلة فعلا، وذات أثر فيزيائي واضح في نشاط المخ الكهربائي، ولكن الطاقة التي يحصل بها هذا التأثير غير معروفة فيزيائيا.

تمكن العلماء بعدئذ من تعريف تلك الطاقة على أنها الطاقة الخامسة أو الطاقة الباراسايكولوجية ببعديه الفيزيائي والنفسي، وهذا العلم سمي فيما بعد بالفيزياء النفسية (Psychophysics)، وهو ما يدرس في مجال العلم دون الذري، أي تلك الدقائق الصغيرة من الإلكترونات، والبروتونات، والنيوترونات، والكواركات، والكرافيتونات، ثم أخيرا دقائق المادة المضادة، أي تداخل عالمي المادة والطاقة. ثم ظهر في الاتحاد السوفييتي سابقا كل من الداياسايكولوجي، والميثاسايكولوجي نتيجة لحصول ظواهر عديدة من الخوارق التي عجزوا عن تقديم تفسير علمي لها. وهكذا أصبح الباراسايكولوجي علماً معترفاً به وسمي بعلم المستقبل نظراً لأهميته، وبدأ العلماء يطالبون بإعادة صياغة العلوم بإدخال البعد الروحي هذا فيه.

الإشارة القرآنية وربطها بالمعطيات العلمية

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩]. بذلك الحفظ الرباني صمد القرآن لأكثر من ١٤ قرناً دون تحريف، وسيستمر وبالتأكيد على هذا؛ لأن الله الحفيظ تبارك وتعالى تعهد بحفظه، فالقرآن الكريم هو كتاب الله المعجز الذي لا يقتصر على مجرد كلمات في سطور، بل إنما هو كون مقروء، يشرح ما في الكون المنظور، وهو فضلا عن ذلك نور يخرج الناس من ظلمات الجهل والوهم إلى نور من الله هو نور العلم والمعرفة. وهو المعجزة الخالدة التي اختص بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وكانت له معجزات مادية حسية كثيرة لو أحصيت لصارت أكثر مما أوتيته سائر إخوانه من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، إذ لا يدانيه أحد منهم في تلك المعجزات من حيث العدد أو العظمة والرفعة، فلا يكاد يمر يوم من حياته الشريفة صلى الله عليه وسلم إلا كانت له فيه معجزة ولربما أكثر، وهذه بعض منها:

١. انشقاق القمر نصفين بإشارة من يده الشريفة صلى الله عليه وسلم^(٢).

(١) التخاطر (Telepathy): ويعتمد على شخص آخر، فهو نقل أفكار من شخص لآخر دون وساطة حسية، أما الجلاء البصري (Clairvoyance): فهو الحصول على المعلومات مباشرة، وإدراك الأشياء التي لا تتضمن تنبيهاً للحواس المعروفة.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية، فأراهم انشقاق القمر:

٢٠٦/٤ // برقم ٣٦٣٦.

٢. اختصاصه صلى الله عليه وسلم بالإسراء والمعراج من دون سائر الأنبياء الكرام عليهم السلام^(١).
 ٣. اشتكى إليه صلى الله عليه وسلم البعير أو الجمل، وكلمه بأن مالكة يُجِيعُهُ وَيُدْرِبُهُ^(٢).
 ٤. الماء نبع من أصابعه الشريفة صلى الله عليه وسلم فشرب وتوضأ منه جيش المسلمين^(٣).
 ٥. رد عين قتادة المفقوة^(٤).
 ٦. دعا صلى الله عليه وسلم نخلة إليه لتشهد أنه رسول الله حين تحداه أعرابي، فلبت على الفور، وأتته تمشي شاهدة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.
 ٧. كلمه السم الموضوع في الشاة التي أهدته له يهودية تدعى زينب بنت الحارث في غزوة خيبر، حتى إذا جاء ليأكلها تكلم معه اللحم المطبوخ بالسم، فقال صلى الله عليه وسلم: (إن هذا العظم لينبئني أنه مسموم)^(٥).
 ٨. أراد اليهود قتله قبيل غزوة بني النضير بأن يرموا عليه حجرا من فوق سطح أحد الدور التي هم فيها، فنزل الوحي مخبرا إياه بالقصة، فسلم من مكرهم، وعلى أثر تلك الخيانة أجلاهم من المدينة المنورة ثمنا لعدوانهم^(٦). غير ذلك ...
- لكن أهم معجزة أوتيها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هي القرآن الكريم، كتاب الكون الذي لا تنقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء، فهو معجزة الدهور والأزمان كلها، ولاسيما زماننا عصرنا هذا عصر العلم والتقنيات والاختراعات والاكتشافات.

١. أولا: التأثير على المادة (Psycho science): شخصت هذه الحالة في قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع عرش بلقيس، يقول الله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ [التَّمَلُّ: ٤٠]. إن تفسير الآيات المباركات مختصره أن سيدنا سليمان عليه السلام جاءه الهدد بقصة بلقيس ملكة سبأ. فأرسل إليها رسالة، حتى جاءت سليمان مسلمة دون قتال ومعها قومها، لكن أراد سليمان عليه السلام أن يؤتى بعرشها الضخم العظيم

(١) حادثة مشهورة بلغت التواتر.

(٢) حديث الجمل أخرجه الضياء المقدسي في المختارة: ١٦٠/٩.

(٣) حادثة مشهورة جدا بلغت التواتر.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، البدر العيني: ١٧/١٠٧؛ ١٠٩. وكذلك رد يد معاذ بن الجراح المبتورة في بعض الغزوات، وهي رواية ضعيفة.

(٥) سنن أبي داود: ١٧٣/٤ // برقم ٤٥١٠؛ شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٥٢٨/٣.

(٦) ينظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني: ٢٧٩/١ // برقم ٤٠٢٨؛ عمدة القاري: ٢٥٤/٧ // ٤٠٢٨.

قبل مقدمها، فطرح المسألة على حاشيته، فقدم عفريت من الجن خدماته وإمكانياته في الإتيان به قبل نهاية مجلس الملك وهو ما يعادل نصف نهار تقريبا، لكنه عليه السلام أراد أسرع من ذلك، فبادر أحد علماء بني إسرائيل - وهو آصف بن برخيا - إلى عرض قدراته وأن بإمكانه الإتيان بالعرش قبل رجوع بصر سليمان إليه بعد إغماض جفنيه، وفعلا وعلى حين غرة بل فجأة رأى العرش عنده. ومعلوم فيزيائيا أن نقل مادة من مكان إلى آخر يتطلب إعدامها في مكانها الأول ثم نقلها إلى مكانها الثاني، وبالتالي شخص القرآن الكريم حالة Psycho science قبل تشخيصها علميا.

٢. ثانيا: التخاطر: شخص القرآن الكريم هذه الحالة في عدة مواضع: ففي قصة سيدنا يوسف وسيدنا يعقوب عليهما السلام، يقول الله تعالى: ﴿يَبْنَىٰ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ مِنَ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ [يُوسُف: ٨٧]. وهنا قد علم سيدنا يعقوب أن ولديه بخير، فأمر أولاده بالبحث عنهما.

هنا وقفة متأنية مع قصة سيدنا يعقوب وابنه يوسف، فالوالد النبي الكريم لم يعرف مكان ابنه وهو منه قريب في بئر على مشارف قريته ومسكنه، لكنه تحسس فشم رائحة يوسف من قميصه في أرض مصر وبين كنعان ومصر آلاف الكيلات^(١)، فكيف ذلك؟

الجواب: أن الأنبياء والأولياء وأمورهم بالله، فهم أحيانا يعلمون بتعليم الله إياهم الكثير، وتأتيهم أحيان أخرى لا يعلمون فيها شيئا. وفي ذلك أنشد مولانا جلال الدين الرومي أبياتا جميلة باللغة الفارسية ترجمتها بإيجاز، يقول: أحيانا أسمع صريف الأقلام، وأحيانا لا أدري ما تحت قدمي.

ومنه قول الله تعالى لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَاعْرِفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ [مُحَمَّد: ٣٠]. ومن السنة المطهرة هناك حالات عديدة لعل أهمها قصة إسلام سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه، فذهب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، فعرض عليه تمرات من الصدقات فرفضها صلى الله عليه وسلم ولم يقبلها، ثم أهدي إليه هدية فقبلها، وكان عند سلمان علامات ثلاث يستدل بها أن محمدا رسول الله، وهي يقبل الهدية ولا يأكل من الصدقة، وعنده خاتم النبوة، فتقدم سلمان واقترب من النبي صلى الله عليه وسلم راجيا مشاهدة الخاتم، فسأله صلى الله عليه وسلم قائلا: عمّ تبحث، عن الخاتم؟ فكشف عن ظهره الشريف، وأراه الخاتم، فخر سلمان صعقا لهول الموقف، وبعد أن أفاق أسلم، وصار سلمان منا آل البيت^(٢).

(١) الكيل هو: للكيلومتر، استحدثه مجمع اللغة العربية.

(٢) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرمانلي: ٦/٩/١١٩٥؛ عمدة القاري: ٢٠/١٦٧.

٣. ثالثاً: الجلاء البصري: من كتاب الله تعالى هناك ما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم في رحلة الإسراء والمعراج والتي ثبتها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]. وقد جلى سيدنا جبريل عليه السلام بيت المقدس لرسول الله صلى الله عليه وسلم عندما تحداه ناس من قريش أن ينعت لهم بيت المقدس بعد عودته من رحلة الإسراء والمعراج.

وفي سورة النجم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۖ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۖ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۖ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۖ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۖ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۖ أَفَتُمَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۖ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۖ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۖ إِذْ يَغْشَىٰ السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۖ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۖ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۖ﴾ [النجم: ٤ - ١٨]. أي ليس في المسألة زيغ بصر بل هي معجزات وآيات عظيمة جلّيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤. رابعاً: إعجاز القرآن الغيبي: قال ربنا سبحانه وتعالى وتقدس: ﴿الْم ۖ غَلَبَتِ الرُّومُ ۖ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۖ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۖ﴾ [الرُّوم: ١ - ٤].

ما يدل على الغيب المستقبلي الذي أطلعه الله تعالى لنبيه في نص قرآني محكم، وهو من إعجاز القرآن الغيبي. وهذا ليس جلاءً بصرياً يتعلق ببشر؛ لأنه وحى سيحصل في المستقبل خلال بضع سنين، ولكنه إشارة قرآنية وإعلام وإخبار للمسلمين بما سوف يكون في المستقبل إكمالاً لإعجاز القرآن العظيم، وهو ما تحقق فعلاً.

ومن السيرة العطرة:

١. بشرى نصر بدر بقوله صلى الله عليه وسلم (لكأني أنظر إلى مصارع القوم) (١).
٢. بشرى فتح فارس والقدس والقسطنطينية ورومية يوم الأحزاب.
٣. قصة غزوة مؤتة باستشهاد ثلاثة من أجلاء الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، وهم: جعفر بن أبي طالب الملقب بالطيار، وزيد بن حارثة، وشعر الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة.
٤. قصة سيدنا عمر مع سارية وصرخته المعروفة (يا سارية الجبل)، وسماع سارية صوت عمر رغم مئات الكيلات التي تفصل بينهما.
٥. غير ذلك الكثير.

(١) إرشاد الساري: ٩/٣٥٧ // برقم ٦٦١٣.

كل ذلك تفسر علميا لمن يبحث عن السر والحكمة والسبب والعلّة في ذلك عن طريق علم الباراسايكولوجي. أدل. أما نحن المسلمون فنؤمن بذلك كله إيمانا ثابتا راسخا من باب الإيمان بالغيب دون حاجة إلى دليل علمي؛ لأننا نتلو في كتاب ربنا تباركت أسماؤه: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣].

الخاتمة

في نهاية المطاف توصل البحث إلى نتائج من أبرزها إجمالاً ما يأتي:

١. علم الكون فعلاً داعماً للتفسير، وتبين ذلك من خلال ناموس الزوجية الطبيعية.
٢. علم النفس بدأ داعماً للتفسير في عدة مسائل من أبحاث الباراسايكولوجي، منها الجلاء البصري، ومنها التخاطر، بل حتى التأثير على المادة مثل نقل عرش بلقيس في طرفة العين أو أقل.
٣. يقترح الباحث حث الطلبة في الدراسات الأولية لاختيار عناوين في هذا المجال، وكذلك في الدراسات العليا بتركيز أدق وأشد وأقوى وأعمق.
٤. يوصي الباحث بعقد ندوات ومؤتمرات تعمل على نشر ثقافة تطعيم التفسير بالعلوم العصرية لا سيما الكوسمولوجي، والسايكولوجي.

مسرد المصادر والمراجع

١. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد القسطلاني القتيبي (ت: ٩٢٣ هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣ هـ.
٢. الإشارات القرآنية للسرعة العظمى والنسبية، د. منصور حسب النبي، سلسلة آيات الله في الآفاق والآنفس (١)، بإشراف: د. كارم السيد غنيم، مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان، دار الآفاق العلمية، القاهرة، ط١، ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م.
٣. أطلس العلوم، ترجمة: عماد الدين أفندي، دار الشرق العربي، دمشق، بيروت، ط١، ٢٠١١ م.
٤. أطلس الفيزياء، ترجمة وإعداد: عماد الدين أفندي، سائر بصمه جي، دار الشرق العربي، بيروت، ط٢، ٢٠١٣ م.
٥. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (الكون والماء)، سليمان الطراونة، دار الفرقان، عمان، ط١، ١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٣ م.
٦. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم - منهج تعليمي للمعاهد القرآنية
٧. آيات الكون وأسرار الطبيعة في القرآن الكريم، عبد الله الغديري، دار المحجزة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط، د. ت.
٨. الباراسكولوجيا - علم دراسة الخوارق - التاريخ والظاهرة، د. علاء الدين بدوي فرغلي، مجلة النفس المطمئنة، السنة: ١٤، العدد: ٦٨، أكتوبر ٢٠٠١.
٩. البرهان العلمي في الإسلام، القرآن الكريم في ضوء العلم والعقل والتاريخ، د. نبيل عبد السلام هارون، ط٣، ١٤٢٨ هـ = ٢٠٠٧ م.
١٠. تاريخ العلم (١٥٤٣-٢٠٠١)، جون جريبين، ترجمة: شوقي جلال، عالم المعرفة (٣٨٩)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤٣٠ هـ = ٢٠١٢ م.
١١. التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية (إعادة للطباعة القديمة في باكستان ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٦ م)، بيروت، ط١، ١٤٢٤ هـ.
١٢. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين المعروف بالسيد الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦ هـ)، تصحيح: جماعة من العلماء بإشراف دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م.
١٣. تعقبات ابن عاشور على الزمخشري في تفسيره التحرير والتنوير، فاضل يونس حسين البدراني، رسالة ماجستير بإشراف: د. زاهدة عبد الله العبيدي، جامعة الموصل / كلية التربية / قسم

- مجلة كلية الإمام الأعظم | العدد الخامس والأربعون | عدد خاص بالمؤتمر العلمي الدولي السابع عشر —
القرآن الكريم، ١٤٢٨ هـ.
١٤. تفردات الطاهر ابن عاشور في تحريره عن الزمخشري في كشافه وابن عطية في محرره والبيضاوي في أنواره - دراسة مقارنة تقويمية -، الضيف نظور، أطروحة بإشراف: أ. د. سر الختم سعيد، د. سميع الحق ابن المفتي، الجامعة الإسلامية الماليزية - كلية التربية الإسلامية - قسم التفسير، إسلام آباد، ١٤٢٩ - ١٤٣٠ هـ.
١٥. تفسير ابن باديس المسمى "في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (ت: ١٣٥٩ هـ)، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ = ١٩٩٥ م.
١٦. تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، أد. زغلول راغب محمد النجار، مكتبة الشروق الدولي، القاهرة، ط١، ١٤٢٨ هـ = ٢٠٠٧ م.
١٧. تفسير القرآن الثري الجامع في الإعجاز البياني واللغوي والعلمي، محمد الهلال، [تنبيه: الكتاب مطبوع في ١٢ مجلدا، عن داري المعراج، وجوامع الكلم، والنص منسوخ من موقع التفسير <https://tafsiralathary.com> دون سور (المزمل، الليل، والعصر) نتيجة خطأ تقني في الموقع نفسه، نبهنا عليه أبو عبد الرحمن القماش، جزاه الله خيراً].
١٨. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢، ١٤١٨ هـ.
١٩. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط١، ١٩٨٨ م.
٢٠. توسع الكون بين الغزالي وابن رشد، د. محمد باسل الطائي، بحث منشور في مجلة آفاق الثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، العدد: ٤٦، ٢٠٠٤ م.
٢١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ = ٢٠٠٠ م.
٢٢. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المشهور بصحيح البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦ هـ)، تح: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن الطبعة السلطانية بإضافة ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢ هـ.
٢٣. ديوان ابن المعتز، أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي، (ت: ٢٩٦ هـ)، دار صادر، بيروت، د. ط، د. ت.
٢٤. الرياضيات في القرآن الكريم، أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، مكتبة النهضة، القاهرة، د. ط، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٧ م.
٢٥. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ)،

- تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
٢٦. شرح صحيح البخاري لابن بطلال، ابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: ٤٤٩ هـ)، تح: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط ٢، ١٤٢٣ هـ.
٢٧. الصحيح من معجزات المصطفى، أ. خير الدين الوائلي، دار ابن كثير، د. ط، د. ت.
٢٨. صفوة البيان لمعاني القرآن، حسنين محمد مخلوف، دار الشروق، د. ط، ١٤٠٢ هـ.
٢٩. صيرورة الكون مدارج العلم ومعارج الإيمان، د. محمد باسل الطائي، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠١٠ م.
٣٠. علم الخوارق من نيوتن إلى القدرات فوق الحسية - الحدود الأخيرة، تأليف لورانس ليشان، ترجمة: أ. د. متي ناصر عبد الرحيم، دار المسيرة، عمان، د. ط، د. ت.
٣١. عمدة الفاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين العيتابي الحنفي بدر الدين العيني الشهير بالبدر العيني (ت: ٨٥٥ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، د. ت.
٣٢. في إشراق آية، أ. د. عبد الكريم بكار، دار وجوه، الرياض، ط ٢، ١٤٣١ هـ.
٣٣. كتاب (٣٠ يوم مع الموتى، ترجمة وإعداد مكتبة مدبولي، القاهرة، د. ط، ١٩٩٢.
٣٤. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ)، [معه: الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، ابن المنير الإسكندري (ت: ٦٨٣ هـ)، وتخرىج أحاديثه، للإمام عبد الله بن يوسف الزيلعي (ت: ٧٦٢ هـ)]، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ.
٣٥. الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي الحنفي (ت: ١٠٩٤ هـ)، تح: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٩ هـ.
٣٦. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، محمد بن يوسف، شمس الدين الكرمانى (ت: ٧٨٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م.
٣٧. الكون والعدم (بحث في صيرورة العالم تطوره وغايته)، أ. د. محمد باسل الطائي، مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان، د. ط، د. ت.
٣٨. مجلة الرسالة، أصدرها: أحمد حسن الزيات (ت: ١٣٨٨ هـ)، العدد: ١، السنة ١٩٢٣ م.
٣٩. مجلة مجمع الفقه الإسلامي، منظمة المؤتمر الإسلامي، جدة، وقد صدرت في ١٣ عددا، وكل عدد يتكون من مجموعة من المجلدات، كما يلي: العدد ١: مجلد واحد. العدد ٢: مجلدان. العدد ٥ و ٧ و ٩ و ١٢: كل منها ٤ مجلدات، بقية الأعداد: كل منها ٣ مجلدات، ومجموع المجلدات للأعداد الـ

١٣: أربعون مجلدا.

٤٠. المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج به البخاري ومسلم في صحيحيهما، ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت: ٦٤٣ هـ)، دراسة وتح: أ. د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠ هـ = ٢٠٠٠ م.

٤١. المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ (صحيح مسلم)، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١ هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، د. ت.

٤٢. المصحف المفسر، محمد فريد وجدي، مطبعة العلوم، القاهرة، ط ٥، ١٣٦٨ هـ.

٤٣. المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم، د. سعد الدين السيد صالح، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٣ م.

٤٤. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠ هـ.

٤٥. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢ هـ)، تح صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، ط ١، ١٤١٢ هـ.

٤٦. مقدمة إيمانية، محاضرة للمفكر الكندي المسلم "جاري ميلر"، ترجمة: رشود التميمي، موقع: صيد الفوائد، <http://www.saaid.net/bahoth>، ١٨٥.

٤٧. موسوعة دائرة المعارف الشاملة - الموسوعة الفلكية، خليل بدوي، دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ١٩٩٩ م.

٤٨. نحو تفسير علمي للقرآن، أحمد الوائلي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٤٠٥ هـ-

١٩٨٥ م.